

والحياة لا تبقى فيها هو بالغ الحرارة، أو بالغ البرودة، وبعد أن بردت الأرض كانت رمادا، أو كالرماد الفاقد لجميع وسائل الحياة، إذن الحياة لم تتولد من الشمس، ولا من الأرض بعد انفصالها وخمودها، وإنما خلقتها في الجوامد قوة إلهية.

وقد يقال بأن الحياة جاءت إلى الأرض من بعض الكواكب الأخرى في شكل جرثومة، وبقيت هذه الجرثومة زمنا غير محدود تتقلب في الفضاء حتى وصلت إلى الأرض. فنقول: أولا: من العسير جدا على تلك الجرثومة أن تبقى حية تقاوم الحرارة والكثافة وما إليها مدة سفرها الشاق الطويل.

ثانيا: نوجه السؤال إلى هذا القائل: من أين جاءت الحياة إلى ذلك الكواكب؟. وإن قال قائل بأن الحياة أو جدت نفسها، أو هي عرض من أعراض المادة، فالنمو والتعقل والتذكر، والتلح والبغض، والفرح والحزن، وما إلى ذلك كلها صفات ثانوية تستتبع كون المادة عليهنه خاصة و تركيب خاص، تماما كالسير بالنسبة إلى السيارة والتزمير إلى الزمور.

إن قيل هذا، سألنا القائل: لماذا وجدت الحياة في مادة دون أخرى؟ لماذا لم توجد في الصخر والحصى ما دام وجودها اغتباطا أو ما أشبه؟ ولماذا تعددت الحياة وتنوعت من النملة إلى الفيل في الحيوان، ومن النبتة الصغيرة إلى الشجرة الشاهقة في النبات، ومن البليد إلى العبقري في الإنسان؟ وكيف احتفظت كل فصيلة بصفاتها وممزاها، وأدت مهمتها بدقة ونظام مدى ملايين السنين؟ وهل من الممكن أن نتصور أن العقل والشعور قد أفرزتهما المادة إفرارا، كما تفرز المعدة فضلات الطعام؟

لقد وهب الله سبحانه الحياة للكائنات النامية من إنسان وحيوان ونبات، وجعل كل نوع مستقلا عن الآخر استقلالا تاما، فلم يتولد إنسان من حيوان أو نباته، ولا حيوان من نبات أو إنسان، ولا حيوان عضوي من غير عضوي، أو العكس، أما نظرية داروين القائلة بأن أصل الإنسان قرد فقد جاء في كتاب: